مدينة سورية قديمة

يتكلم اهلها ست لغات

احدث المكتشفات الاثرية في رأس الشمرا قرب اللاذقية

(نشرنا في مقتطف دسمبر (١٩٢٩) مقالة موضوعها «حلقة جديدة بين مصر وسوريا» وصفنا فيها المكتشفات الاثرية الجديدة في شمال سوريا في مكان يدعى «المينا البيضا» و«ورأس الشمرا» التي كشف عنها المسيو شيفر الفرنسي مندوب المعهد الفرنسي والمسيو شنه الاركيولوجي الارجوني. وأهم هذه الآثار آنية جزفية يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر ق. م. ويرجَّح انها قبرصية او ميسينية. ومنها تمثال صغير من البرونز لباشق جاثم وعلى رأسه تاج مصر العليا والسفلى كأنهُ الاله هورُس المصري. ومنها تمثال مصغَّر للاله اذا نظرت الى رأسه من الجانب حسبتهُ مصريًّا وتمثال آخر صغير للاله واقف علوهُ ٢٢ سنتمتراً كأنهُ يتحفز للمشي وكان على رأسه غطاء مصفَّح بالذهب يماثل بعض ما يلبسهُ الفراعنة وملوك الحثيين وعلى وجهه خوذة من ذهب خالص وجسمهُ مصفح بالفضة وعلى ساعده الايمن سوار ذهبي. وقربهُ وُجدت حلية ذهبية نقش عليها نقشاً بارزاً تمثالُ الالاهة عشتاروت الجميلة واقفة وماسكة زهرة لوتس بكلٍّ من يديها. ومن اثمن الحلى التي وُجدت قطعة من العاج الرزين وقد نقش عليها الاهة مكشوفة الصدر لابسة رداء يغطي جسمها من وسطها الى اسفل قدميها جالسة بين تيسين واقفين على قوائمها الخلفية. وتشبهُ هذه الالاهة الاهات الخصب المسينية والكريتية في تيرنس وكنوسس في القرن ١٣ ق. م.)

[راجع مقتطف دسمبر ١٩٢٦ ص: ٥٥٠—٥٥٧]

وقد اتجهت عناية المسيو شيفر ورجاله في سنة ١٩٣٠ الى التنقيب في رأس الشمرا، وهو اكمة على الف متر من الشاطئ علوها نحو عشرين متراً وطولها الف متر وعرضها ٥٠٠ متر. وقد عثروا فيها في السنة الماضية على أُسُس محكمة البناء وحجر برونزي وبقايا تماثيل من الترائيت لاحد الفراعنة وأنصاب مصرية عليها كتابة هيروغليفية من طراز الكتابة الخاصة بعصر الامبراطورية الجديدة. وكان من اهم ما وجدوه في السنة الماضية طائفة كبيرة من الواح الخزف عليها كتابة مسمارية وبينها رسائل شديدة الشبه برسائل

صفحه من اقدم معجم كشف عنهُ حتى الآن
لوحة تعود الى نحو الف سنة قبل المسيح وقد نقشت عليها الفاظ
لغتين كانت احداهما معروفة والثانية مجهولة ولكن حسب رموزها حديثاً

تل العمارنة التي تحتوي على وصف العلاقات بين ملوك سورية وفراعنة الدولة الثامنة عشر

وبعد البحث ثبت لهم ان البناء الذي كشفوا عن أساسه المحكمة في السنة الماضية وحسبوه قصراً انما هو هيكل لهُ صحنان احدهما الى جانب الآخر وقد كانا مرصوفين. اما الصحن الشمالي فوجد فيهِ دكة حجرية لعلها كانت مذبحاً ومنبراً في آن واحد. ومما لا ريب فيهِ ان تماثيل ضخمة من الغرانيت كانت تحيط بها لان قطع هذه التماثيل وُجدت منثورة عند اسفل الدكة. وهي تمثل آلهة ويغلب عليها اسلوب النقش المصري الخاص بالدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. وهنا عثروا ايضاً على نصب اقيم برًّا بنذور نذره للاله بعل مايونا «كاتبٌ من كتبة الملك ومدير خزانة المال» وقد يكون «سايونا» اسم هذه البلدة في العصور الغابرة ثم اطلق عليها العرب «رأس الشمرا»

وخارج الهيكل وُجد بناء تبدو عليهِ آثار الفن المصري وفيهِ غرف يظهر ان كلاً منها كان خاصًّا بأحد الآلهة المحلية وقد عثر على تمثالي اثنين منها احدهما ذكرٌ منقوشٌ نقشاً بارزاً على شاهدٍ وهو سليم من العطب ويمثل آلهاً غريب الشكل لابساً على رأسهِ ما يشبهُ تاجاً مصريًّا فيهِ ريش النعام ويرتفع من اسفلهِ قرن. ويحمل باحدى يديهِ رمحاً طويلاً وبالاخرى منجلاً مصريًّا وفي حزامهِ خنجرٌ وعلى قدميهِ نعلان

والظاهر ان هذه البقعة استعملت مقبرة قبلما بني الهيكل عليها. وتاريخ المقبرة يرجع الى عهد يتفاوت بين القرن السادس عشر ق. م والقرن الثامن عشر ق.م وطرق دفن الموتى فيها مختلفة فمنهم مَن دفن ممدود القامة ومنهم مَنْ دُفِنَ كأنهُ جاثم ومنهم من دُفن جذع الجسم في وعاء كبير وما بقي منهُ كالجمجمة والاطراف قربهُ خارج الوعاء. والظاهر ان بناة الهيكل نبشوا بعض هذه المدافن ولكن المنقبين عثروا على ما يثبت احترام هؤلاء البناة لجثث الموتى لان ما نبشوهُ من العظام اعادوا دفنهُ وحاولوا صونهُ بحجارة وقطع اوعية وضعت فوقها

ولكن اهم ما عثر عليهِ المنقبون في رأس الشمرا هو مكتبة كانت مدرسة لتخريج الكتبة وهي واقعة الى جنوب الهيكل حيث وُجدت الالواح المنقوشة بكتابة مسمارية في السنة الماضية. هنا عثروا على بناء فسيح الرحاب مبني بحجارة ولهُ مدخل واسع ودار فسيحة وفيه آثار مجارٍ لماء المطر وحول الدار غرف مرصوفة ثم سلم حجري يؤدي الى الدور الثاني. في انقاض هذه المباني وجدت الواح منقوشة بكتابة مسمارية مرتبة في اعمدة وقد يكون على اللوح الواحد عمودان من الكتابة او ثلاثة اعمدة او اربعة. ومنها الواح — وهي نادرة — كانت تشتمل على عمودٍ من كلمات بلغة واحدة وازائها عمود بترجمتها في لغة اخرى. فهي على ذلك اقدم معجم كشف عنهُ البحث الى الآن. وقد عهد الباحثون

بدرس هذه الالواح المزدوجة اللغة الى المسيو تيرو دانجان عضو المعهد الفرنسي . والظاهر ان هذا المعهد القديم كان في الواقع مدرسة لتعليم كهنة الهيكل المجاور فن الكتابة في اللغات المختلفة الشائعة في رأس الشمرا حينئذ وكان في متناول يدهم حينئذ معاجم جمعها لغويو ذلك العصر . وقد عثر على توقيع احدهم في هامش احد الالواح هكذا « يدربا ابن سوميجانا كاتب الالاهة نيسابا »

ومما جعل عمل الكاتب في تلك الايام معقداً صعباً كثرة اللغات الشائعة هناك وقد كانت لا تقل عن ستٍّ هي البابلية المستعملة للمراسلات مع الدول المجاورة تؤيد الكتابات السياسية التي عثر عليها المسيو شيفر . والشمرية (السومرية) التي حصر استعمالها في الكتبة والكهنة كاللغة اللاتينية في عصرنا . والحثية الآتية التي جاء بها فاتحو الشمال الذين قضوا على السيطرة المصرية في شمال سوريا . والمصرية وقد عثر على كتابات هيروغليفية كثيرة في الهيكل . وثمت لغة اخرى لا تزال لغزاً كشف عنها في اللوحة المزدوجة اللغة التي وُجدت هذه السنة . واخيراً اللغة الفينيقية المكتوبة بحروف هجائية كانت مجهولة من قبل وقد كُشفت في السنة الماضية

وقد عني المسيو فيرولو الاستاذ بكلية السوربون بدرس هذه الحروف . وبعد نشرها درسها المسيو بور الاستاذ بجامعة هال فقال انها حروف لهجة خاصة من اللهجات الفينيقية وحاول ان يحلّ رموزها . وقد حلّت رموزها حلا كاملاً على يد الاستاذ فيرولّو بعد ما كشف في ربيع هذه السنة عن الواح جديدة تشتمل على نحو ٨٠٠ سطر مكتوبة بها

وقد تمكن حتى الآن من معرفة ٢٧ حرفاً من ٢٨ حرفاً من أبجدية رأس الشمرا وهو بحسب هذه الرسائل اهم ما عثر عليه المنقبون بعد الكشف عن رسائل تل العمارنة في القطر المصري . واللغة هذه الالواح فينيقية وعليها مسحة ارامية واضحة . فقد كان معروفاً من كتابات نادرة وموجزة وجود علاقة بين الفينيقية والعبرية ولكن الرسائل الجديدة تمكننا من التوسع في درس هذه العلاقة . فني الالواح كتابات تجارية (حسابات ورسائل وقوائم) وكتابات دينية تبين بعض التقاليد الرسمية حينئذٍ . وبينها قصيدة من نوع الملاحم (epic) تشتمل على ٨٠٠ سطر بطلها رجل يدعى تافون ومن الآلهة المذكورة فيها الآلاهة اناث والآله البن بن بعل ونحو عشرين آخرين

اذا حكمنا على تاريخ هذه الكتابة من الآثار التي وجدت حواليها امكن ارجاعها الى نحو ٢٠٠٠ ق م . فقد كان اصحابها معاصرين لعهد رعمسيس في مصر . وزد على ذلك هذا هو العهد الذي عاش فيه الشاعر الفينيقي سانكونياتون على ما ترويه الاساطير . ولم يحفظ من نظمه الا سطور معدودة مترجمة الى اليونانية . فاكتشاف هذه الالواح — وهذه القصيدة — له مقام خطير في فهم الديانات الشرقية والفيلولوجية السامية . عدا انها تدخل عنصراً جديداً في درس اصول الحروف الهجائية . وينتظر ان يستأنف البحث في رأس الشمرا في السنة المقبلة

صفحة من المحمة التي وجدت احداها في رأس الشمرا

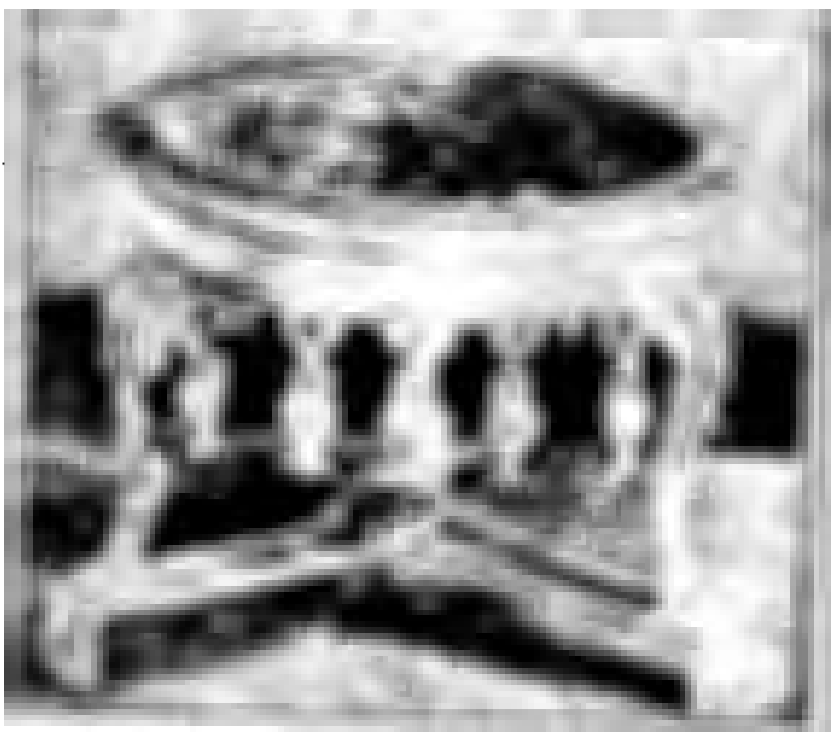

مقتطف يناير ١٩٣١ في الالف الثاني ق م امام الصفحة ٤٢